زعامة «القوات اللبنانية» يعقدون اتفاقا مع اسرائيل هو عبارة عن توجيه «دعوة» للجيش الاسرائيلي للقيام بغزو لبنان و«تحريره» من الفلسطينيين (والسوريين)، على امل تسليمه غنيمة باردة للموارنة!. وكان هذا الاتفاق هو اساس الحرب التي شنتها اسرائيل في صيف العام ١٩٨٢ على الفلسطينيين في لبنان، التي انتهت مع بداية خريف ذلك العام بخروج منظمة التحرير الفلسطينية ومقاتليها ومؤسساتها من بيروت. اما بقية المقاتلين الفلسطينيين فقد خرجت مع نهاية العام التالي من طرابلس، بعد حصار فتّحوي ـ منشق وسوري من البر واسرائيلي من البحر.

شيء من الاستراتيجية.. والاقليمية

ان العبرة الرئيسية من هذه الاحداث، التي اكتفينا هنا بوصف ملامحها العامة للغاية دون التفاصيل، المذهلة والمقرفة، واضحة للغاية، وهي ان الانظمة العربية في دول الطوق، التي كان من المفترض ان تكون خير عون في معركة الحفاظ على فلسطين او استرجاعها او حتى تحرير اجزاءمنها، لم تتقاعس او تحجم عن لعب الدور المتوقع منها، فقط، بل انها، في معظم الحالات، فعلت عكس ذلك تماما. واذا اعتبرنا ان العامل الاول الذي ادى الى نكبة العام ١٩٤٨ كامن في تقاعس عرب فلسطين عن القيام بواجبهم، لاسباب لا مجال لبحثها هنا، وسوء تنظيمهم وضيق افق قياداتهم وكذلك ضخامة حجم المؤامرة الدولية التي تعرضوا لها، لامكننا القول ايضا ان العامل الثاني، المكمل، الذي ساعد على وقوع تلك النكبة كامن في ضعف انظمة دول الطوق العربية وتآمر بعض قادتها وتواطؤ الآخرين. ولا يزال هذا الوضع، بشكل او بآخر، قائما حتى اليوم؛ وهو اساس البلية في بقاء العقدة الفلسطينية المزمنة على حالها. فالاداء الفلسطيني تحسن قليلا عما كان عليه عشية النكبة او خلالها او بعدها، ولكنه بقي دون المستوى الضروري المطلوب لاحراز الانجازات المرجوة. اما مواقف دول الطوق، فانها لم تبق حتى على ما كانت عليه، بل ازدادات سوءا، لدرجة اختفت معها حتى ممارسات ومنطلقات التضامن العربي النظري، مهما كان وهميا وفضفاضا، التي كانت سائدة ايام زمان، وحلت محلها، علنا، الاعتبارات والمواقف والسياسات القائمة علنا على اسس اقليمية ضيقة، دون لف او دوران. ويكفينا مثال واحد للدلالة على ذلك: لقد طرد العمل الفلسطيني من الاردن ـ عنوة وبقوة السلاح، ثم طرد من سوريا ـ شبه عنوة وبالتهديد باستعمال السلاح، ثم طرد من لبنان ـ عنوة وبقوة السلاح. وإذا كان هذا لا يكفي، يستطيع كل ذي بصيرة ان يلاحظ ان العمل الفلسطيني، باطره واهدافه العامة، يكاد يكون مسموحا به، ويحظى بالتأييد بشكل او بآخر، في معظم دول العالم، ان لم يكن كلها، عدا دول الطوق، حيث تفرض القيود والرقابة، وغالباً ما يمارس القمع، وعدا، بالطبع، اسرائيل.

لقد وجد العمل الفلسطيني نفسه، بعد نحو ٢٠ سنة من تجدده، مقيدا في دول الطوق او منفيا او مبعدا عنها وحتى لا نسهو فننسى الاسماء، دول الطوق هي: مصر والاردن وسوريا ولبنان. ولاول وهلة، يبدو كأن كارثة كبرى قد اصابت النشاط الفلسطيني بدفعه الى خارج هذه الدول، بعد ان فقد التماس المباشر مع ارض الوطن. الا ان نظرة اكثر عمقا الى الوضع الجديد، خصوصا في ضوء احداث السنوات الاخيرة، او على وجه التحديد منذ خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت في اواخر صيف ١٩٨٢ وحتى اليوم، تظهر ان الحالة العامة ليست بذلك المدى من التعقيد، الذي يمكن ان يدفع الى اليأس او الاحباط. بل ان الوضع احسن من ذلك بكثير. ويمكن